

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد

الوجهات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احسن الزيات

الإدارة

فار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - مابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٦٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ جادى الأولى سنة ١٣٦١ - الموافق ٨ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الصفاء بين الأدباء أيضاً

للأستاذ توفيق الحكيم

كانت دعوتى إلى الصفاء بين الأدباء خالصة لوجه الأدب . فادباء مصر البارزون الدائبون على الإنتاج لا يتجاوز عددهم العشرة مع التسامح الشديد ، بينما نظرائهم في بلد كفرنسا يبلغون أكثر من مائتين من المشهورين المنتجين ، ومع ذلك نطلع على صحفهم الأدبية فلا نرى غير تكاتف وتساند على أداء رسالة الأدب والفكر . إن الفن طويل والحياة قصيرة ، وكان الأجدر بنا نحن العشرة أن نوجه صراعنا لا إلى بعضنا البعض ، بل إلى الفن ومصاعبه وأسراجه . إن « جوته » حتى وهو مستشار للدولة ما كان يستغنى يوماً عن صديقه « شيلر » وهما يعملان في عين الفرع من الأدب التمثيل ، فكانت بينهما مراسلات لا تنقطع طول النهار على قرب الديار ، جمعت في مجلدين يرى المطلع عليهما كيف أنهما كانا يتشاوران في تفاصيل القصص الذى كانا ينشئان ويتحاوران في أمر بناء الوقائع ورسم الأشخاص ، بل وقبها يبنى أن يختار لذلك القصص من اسم وعنوان ... كنت أحب لأنفسنا مثل هذا الصفاء الذى يخرج في جوه الفن الصافي . ولكن الأستاذ عباس محمود العقاد في مقاله « صداقات الأدباء » رد يقول إن صاحب الدعوة إلى الصفاء هو الذى يبحث عن أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقاً بين رجلين على أحسن ما يكون

الفهرس

صفحة	
٥٩٣	الصفاء بين الأدباء أيضاً ... : الأستاذ توفيق الحكيم ...
٥٩٦	الحب الضائع ... : الدكتور زكي مبارك ...
٥٩٩	« أرواح وأشباح » ... : الأستاذ محمد توحيد السعداريك
٦٠١	الزكاة ... : الأستاذ عبدالمعز رزق الدهشان
٦٠٥	في مجلس الأستاذ أبي الوفاء { الأستاذ محمد حسين مخلوف الصرافوى ...
٦٠٧	بعض ما أحب وما تكره ... : الأستاذ حسين الظريف ...
٦٠٩	نشيد الأغلال ... [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٦١١	(١) صاحب اللعبة البيضاء : الأستاذ عباس فهمى محمد بدر
٦١١	(٢) صاحب اللعبة البيضاء : الأستاذ كامل يوسف ...
٦١١	(١) كم ذا ؟ ... : الأستاذ محمود البشبيشى ..
٦١٢	(٢) كم ذا ؟ ... : الأستاذ راتب خليفة ...

تكوينى الفنى الأول ، فلقد كانت هى خير مران لى على ممارسة الحوار ، ثم اتسعت آفاق باتساع نطاق مطالعاتى فى أصول هذا الفن فى الآداب الأجنبية . وضافت فى مصر فرحلت إلى فرنسا بعد أن كنت قد سجلت اسمى فى جدول المحامين ومهدت أمرى لحياة مجدبة . ولكن أى شيطان فى أعماق نفسى كان يدفعنى إلى إضاعة حياتى وراء فن لم يكن له بمصر أى احترام ؟ وهناك فى فرنسا قرأت كثيراً وكتبت بالفرنسية نحو أربع روايات تمثيلية مزجت الواحدة تلو الأخرى تزيقاً عقب الفراغ منها وإطلاع بعض أرباب ذلك الفن عليها . فلم أكن قد اهتمت بها إلى شئ يذكر . ولبثت فى هذا الجهاد زماناً لا أجد فى آدابنا العربية مرجحاً لهذا الفن ولا مصدراً محترماً يجعلنى أبدأ منه أو أصيف إليه . إنما كان علىّ أن أخلق البداية خلقاً . وكتبت بعد ذلك عدة روايات من بينها « أهل الكهف » دون أن أدري أنها موفية بالفرض بعض الشئ . أو قريبة من الهدف الذى أسى إليه . وقد اشتغلت بالقضاء فأنساني هذه « الخزعبلات » ودفنت مخطوطاتى فى حقائبى طويلاً أنتقل بها من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية ، حتى وقمت بمخطوطة « أهل الكهف » ذات يوم فى يد قاض مثقف من زملائى كان يذكر أيامى الماضية فى متارح القاهرة . وانتقل بالمخطوطة إلى العاصمة ، ومن هناك أرسل إلىّ يقول إنه ساع فى طبعها . فتعلمكنى الدهش . ما معنى الطبع ؟ ولماذا ؟ وماذا يحدث إذا طبعت غير خسارة المصاريف ؟ فلما أصر أمررت على ألا يتجاوز عدد الطبوع مائتين من النسخ . وهو أكبر عدد يمكن توزيعه على المعارف والإخوان . أما أكثر من هذا فلا أعرف ما أصنع به ، وليس لدى مكان أخزن فيه هذه الأكداس من الورق .

ونشرت « أهل الكهف » وحدث ما يعرفه الناس . فقد قام الدكتور طه حسين بملن فى (الرسالة) بصراحة وقوة أن الأمر ليس فقط أمر كاتب وكتاب ، إنما هو « باب أدبى جديد فتح فى الأدب العربى ... الخ الخ » . وظلت تلك عقيدة طه حسين يناضل عنها حتى عند ما عارضته بعدئذ بقولى إن الحوار الأدبى عرفه الجاحظ ووجد منه كثير فى كتاب الأغاني ، فقد أبى الاعتراف بذلك وأصر على اعتبار « أهل الكهف » مبدأ ظهور « الحوار الأدبى التمثيلى » باباً من أبواب الأدب العربى كما هو مقرر فى الآداب الأجنبية باباً من أبوابه . ولقد كان طه حسين مخلصاً فى منهجه

من الصفاء ، فإذا صح هذا الزعم كان حقاً مما يدعو إلى الأسف بل إلى المخربة ! وربما كان ظاهر الواقع يدل على ذلك ؛ ولكن هل كانت تلك حقيقة المقاصد والنوايا ؟ ليس من واجب الأستاذ العقاد فيما أرى أن يبحث خلف أستار الظاهر ، وليس من حق أن أطلبه بالنفوذ إلى أعماق النفوس ، فليكن الله وحده إذن شهيداً على ما أضمرت . وقد رأى الأستاذ العقاد أن يميز واحدة بواحدة ، فلم يفته فى ختام مقاله أن يدس هو الآخر سبباً من أسباب الكدر بينى وبين الدكتور طه حسين بقوله : « إن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى بناء الدكتور طه عليه منذ سنوات : لم نسمع فى غير مصر أن الناقد إذا أتى على كتاب حسب أنه فضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض الخ الخ » . ومضى بصورنى فى هيئة الناكر للجميل ، والأستاذ العقاد ولا شك قد فهم أنى ما قصدت بإيراد هذه العبارة وأمثالها إلا مجرد إظهار الإساءة لطله حسين وهو فى أوج نفوذه . فقلت مانصه : « إن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندى لإساءة لا لإرضائه ... وأما مشاعرى الخاصة كانسان نحو الدكتور طه فليس الظرف اليوم موافقاً للأطناب فى وصفها ؛ وسأختار الزمان والمكان للملائمين للأفاضة بها دون أن يحمل فعلى على غير محله » . ولكن ... مادام الأمر قد حمل على غير وجهه وسجل على سبباً من أسباب الكدر المانعة من الصفاء ، فهل أحجم عن العمل على إزالة الأكدار ؟ وإذا كانت الظروف هى التى شاءت أن تختار الزمان والمكان للملائمين للأفاضة بما عندى ، فإذا يجب أن أصنع أمام مشيئة الأقدار ؟ فلا تكلم إذن ولاقص القصة كما رأيتها وعشتها ... الحقيقة أنها كانت قصة انتهت مع الأسف بانهياب صدانة من أعظم الصداقات التى عرفها أدبنا المعاصر . لقد كان مبدأ ظهورى فى الجو الأدبى كما هو معلوم نشر « أهل الكهف » عام ١٩٣٣ ، ولم تكن هذه الرواية بالطبع بدايتى الأولى فى هذا اللون من التأليف ، بل كانت ثمرة تجارب عشرة أعوام أو يزيد سابقة على الشروع فى وضعها ؛ فلقد كنت قبل ذلك أكتب للمسرح المصرى روايات مما يلائم جمهور تلك الأيام . فثلت لى أربع قصص وعهد بالخامسة إلى المرحوم سيد درويش ليضع الحانها ولكنه اختلف مع المسرح على الأجر المطلوب . وكانت هناك فيما ذكر سادسة وسابعة لست أدري ما حدث لها . وإنى وإن كنت أوتر نسيان هذه الروايات الأولى إلا أنى لا يجب أن أنكر فضلها على

وبهذا حطمتنا تلك الجوهرة التي منحتنا إياها السماء ... من أجل ... من أجل ماذا ؟

لست أدري ما حدث بعد ذلك ، فذا كرتي الآن لا تسمعني ، كل ما أذكر أنك حاولنا أن نرم ما تحطم ... ولقد أقمنا معاً بمض الصيف في جيل الألب ... فضحكنا كثيراً ، وهوننا طويلاً ، بل لقد أقمنا معاً هناك كتاباً ... ولكن ... ولكنها مع ذلك لم تكن الصداقة الأولى ... لماذا ؟ لعل شيئاً في نفسي لم يكن صافياً كل الصفاء ، أو في نفسي أنا على الأقل ... إني أعترف ، لقد كنت أمتنع عن كل ما يؤخذ على أنه ملق أو زلق ... لقد كان طه حين وقتئذ كما هو الآن شخصية ذات نفوذ ، وأنا أكره إرضاء أصحاب النفوذ

أما الذي كان ينبغي له أن يهدي إلى طه حسين كثيراً من كتبه ، أو عي الأقل « أهل الكهف » ... كنت أتردد في كل طبعة تصدر لهذا الكتاب أو غيره ، ولم أجد في نفسي الشجاعة أو القوة على القيام بهذا الواجب الضئيل ... لماذا ؟ لأن طه من أصحاب النفوذ ! هذا أيضاً ما جعلني أصمت عن التنويه بأثره وأنا أقدر الناس على فهم ملكاته وهباته ... ولكنني الآن وقد وضعت بين يدي : الزلني أو نكران الجليل ... فإني أؤثر التهمة الأولى : فقد سبق أن اتهمت بها في مجال السياسة ، فلم تلبث برأني أن ظهرت ، فن السخف أن أقيم لمثل هذه الأشياء بعد اليوم وزناً ... لقد كادت تضيق بديها أيضاً صداقتي « بمحمد المشوي » ، فلقد تجنبتني عن عمد بلا جريرة يوم عين وكيلاً لوزارة المعارف منذ أعوام ، لكنه فطن إلى الأمر ، فما زال يظهر لي من التردد أضعاف ما كان يظهر من قبل ، حتى اطأنت نفسي ، وأيقنت أنها صداقة حقيقية بين عقليين وروحين ، لا شأن فيها للنفوذ ، ولا دخل للمناصب

إن الخلق العظيم رحل لا يقوم به غير العظام ... أم وخدم الذين أعطوا الشجاعة والقوة على أن يسيروا قدماً نحو الجليل النبيل من الأخلاق دون أن يلتفتوا يميناً أو يساراً ، ودون أن يصغروا إلى همس الماسين وتأويل اللؤلؤين !

والآن ، لعل قد رددت على كلمة الدكتور طه حسين التي نشرها في (الأهرام) ، ولعله اقتنع بأن الأمر لم يكن جحوداً ولكنه تردد ، وهذا لا يغير من الموقف كثيراً ، ولكن هذا خلقي ، فليساعدني على علاجه أصدقاؤني !

(البنية على صفحة ٦١٢)

إلى حد أغضب الكثيرين وإلى حد استطاع معه أن يفتح صفوة من المفكرين ، أذكر منهم « لطفى السيد » التي استقبلني بعد نشر « شهرزاد » بقوله : « أنت شيخ طريقة ... أقصد في الأدب . وطه حسين على حق . وطه بخيل وهو لا يصر هذا الإصرار إلا إذا اقتنع »

تساءلت فيما مضى وأتساءل الآن مرة أخرى : هل كان في طاقتي أو طاقة إنسان فرد أن يشكر طه حسين على كل هذا ؟! في الحق أن عمله كان أجل وأضخم من أن أتولى أنا وحدي شكره . لقد كان على الأدب العربي ممثلاً في رجاله وهيباته أن يقوم بذلك . ولعل التاريخ يصنع هذا لو ثبت له أن طه مصيب

على أي في حقيقة الأمر لست أذكر ما اعتراني من شعور في ذلك الوقت ، وأغلب الظن أني شغلت عن الأدب العربي وأبوابه ومذاهبه بشيء أجل بكثير من كل هذا : هي صداقة طه حسين نفسها . فقد بعثت إليه بريقة ، وأنا لا أعرفه ، غداة ظهور مقالته المشهور ، أشكره فيها شكراً حاراً . ثم تركت إقليمى التي كنت فيه وكيلاً للنائب العام وجمت مصر فلتقت طه حسين ونشأت بيننا مودة كانت أرفع وأجمل من أن تمش طويلاً . لقد لبنا شهوراً وكان أحدهما قد عثر على شيء ثمين بعثوره على الآخر . إن طه شخصية عظيمة باهرة . إنه من شخصيات التاريخ بلا جدال . والتاريخ فيما يخيل إلى فنان ، يتخير أشخاصه بيده ويطعمهم بخاتمه حتى قيل أن يلبسهم أدوارهم ويدفعهم إلى مصائرهم العظمى ! لقد كان حديث طه يسحرني ، وشموه تعينني ... لقد كان مجرد اسمه يذكر أمامي يجعل نفسي تتفتح مبهجة كأنها زهرة مر عليها نسيم ! وربما كنت أنا أيضاً أنزل من نفسه بعض هذه المنزلة . فقد كتب ذات مرة يقول : « إني أسمع اللوم لأنني أحب توفيق الحكيم ، وأقرأ الشتم لأنني أكبر توفيق الحكيم ، وأنا أيسم اللوم اللامعين وأضحك لشم الشامعين . لأنني لم أحب هذا الكاتب إلا لأنه ألهمني الحب ، ولم أعجب بهذا الكاتب إلا لأنه ألهمني الإعجاب ! »

لكن ... وا أسفاه ! لقد تغلب أولئك الشامعون واللامعون آخر الأمر ، وفازوا بما ربهم وأشعلوا نار الوقيعة بيننا ، واضمينا أيديهم على مواطن الضعف فينا ، وضغف الفنان هو عزته وكرامته وإن شئت قل غروره ... وهكذا لم يستطع طه حسين أن يحتفظ طويلاً بإتسامه وضحك أمام الساعين بالسوء ؛ ولم أستطع أنا أن احتفظ باتزاني ، فأخذ اللودة الصادقة ، وأضحى بالمرزة الكاذبة ...